المفارقات اللغوية في الشعر العربي المعاصر(نماذج مختارة)

ياسر أبو دهب عبد الله عبد الرحمن (*)

ملخص البحث:

يعدُّ استخدام المفارقة في الشعر العربي المعاصر من التقنيات الأسلوبية المهمة التي تساعد في بناء النص الشعري وتمنحه أبعادًا دلالية عميقة. من خلال هذا البحث، سيتم تسليط الضوء على المفارقات اللغوية في الشعر العربي المعاصر عبر تحليل مجموعة مختارة من القصائد. يهدف البحث إلى استكشاف كيفية استخدام المفارقة كوسيلة فنية لإبراز المعاني المزدوجة والتناقضات الظاهرة والخفية، مما يسهم في تعميق شعرية النص وتوجيه القراء إلى تأملات متعددة.

Research Summary

The use of irony in contemporary Arabic poetry is a significant stylistic technique that aids in constructing the poetic text and imbuing it with profound semantic layers. This research highlights linguistic ironies in contemporary Arabic poetry through the analysis of a selected collection of poems. The study aims to explore how irony is employed as an artistic tool to emphasize dual meanings and both apparent and hidden contradictions, thereby enriching the poetic depth of the text and encouraging readers to engage in diverse.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [ظاهرة الحرمان في الشعر العربي المعاصر دراسة أسلوبية (نماذج مختارة)] وتحت إشراف: أ.د. بهاء محمد محمد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. حمد الله عبد الحكيم كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين أما بعد تُعدُّ المفارقة تقنيةً أسلوبيةً بارزةً في الشعر العربي المعاصر، حيث تساهم في إثراء النص الشعري بالكثير من التأويلات وتفتح أمام المتلقي آفاقًا جديدة لفهم النص. تعكس المفارقة في الشعر قدرة الشاعر على اللعب بالألفاظ والمعاني، مما يبرز عبقريته في اختيار تراكيب لغوية متميزة تجعل النص غنيًا بالتفسيرات المتعددة.

لذلك اخترت أربع قصائد من الشعر المعاصر , وهي كالتالي:

ديوان حبيب عوض الفيومي , ديوان ليالي القاهرة , قصيدة كبرياء لإبراهيم ناجي , قصيدة البائس , ديوان وحي الإيمان , الصاوي شعلان ,ديوان حافظ إبراهيم .

تحليل الدراسة كالتالي:

أولاً: المفارقة اللغوية – المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المفارقة لغةً:

هي"فارقَ الشيء مفارقةً وفراقًا: باينه"([1])، فالمعنى اللغوي للمفارقة هو التباين والاختلاف والتباعد.

ثانيا : المعنى الاصطلاحي لها فهو: "قول شيءٍ بطريقةٍ تستثير لا تفسيراً واحدًا بل سلسلةً لا تنتهي من التفسيرات المغيرة.([2]) وتعتمد على التأويل الذهني، الذي لا يعتمد على تفسيرٍ واحدٍ، بل على تفسيراتٍ. متعددةٍ فهي" سلسلةٌ من الاستعاضة وإحلال شيءٍ محل آخر"([3])

إذ إن المفارقة تضع القارئ بإزاء طرفين متقابلين، وذلك لوجود مستويين من الكلام، المستوى الظاهري للمتلقي الذي يعبّر عنه الشاعر، والمستوى الخفي، الواقع خلف المستوى الظاهري الذي يحاول القارئ عبر التأويل الوصول إليه. ([4])

يقصد بالمفارقة اللفظية: "إبراز التناقض بين طرفين متضادين أو متقابلين"([5]) ، أو هي: "نمطٌ لصيقٌ بالمباشرة يجمع بين متنافرين في الدلالة"([6]) , ويمكن تحديد المفارقة اللفظية على أنها "المفارقة التي يكون فيها المعنى الظاهري واضحًا ولا يتسم بالغموض، وذا قوة دلالية مؤثرة...، كما أن التضاد في المفارقة اللفظية يكون فيه المعنيان الظاهر والباطن في مواجهةٍ مباشرةٍ، على خلاف أنماط المفارقة الأخرى التي تتطلب خفاءً وعمقًا في البحث عن طرفي المفارقة داخل بنية مل القصيدة، أو ربطها بسياق خارجي عن

---

[1]) لسان العرب، ج ١١ ، حرف الفاء، مادة (فرق)، ص :١٦٩.

[2]) موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، دار المأمون للنشر والترجمة، ط ٢، العراق، بغداد، ١٩٨٧ م, ص : ٤٣.

[3]) المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية , وليم راي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للنشر والترجمة، ط ١: , بغداد، ١٩٨٧ ، ص:١٩٤) .

[4]) المفارقة , نبيلة إبراهيم , مجلة فصول , مج :٧, ع: ٣– ٤, ١٩٨٧, ص: ١٣٣.

[5]) كتاب الصناعتين , ص: ٢٩٧.

[6]) فضاءات الشعرية , دراسة في ديوان أمل دنقل , ص: ١٥ .

القصيدة، وقد تحتاج إلى استنباط وتحليل القصيدة نفسها"([٧]) , فيمكن عرض ذلك من خلال مفارقة العنوان والمفارقة اللفظية , مفارقة السخرية , والإنكار , والفجاءة, وغيرها من المفارقات كالتالي :

ثانيًا: تحليل المفارقات في المدارس الشعرية المختلفة:

المطلب الأول : المدرسة الكلاسيكية

فقد استخدم الشاعر مفارقات لغوية عديدة في اثبات قضيته وعرضها على المستمع , فمن ضمن المفارقات , قول الشاعر حبيب عوض الفيومي :

وكنـــا نـــرى فـــردًا لِفَـــردٍ مبـــارزًا فصـــرنا نـــرى حشـــدًا لفـــرد يبـــارزُ

ومـــن مـــدع فـــيض الثـــراء , ووجهـــه من الفقر مكشوف المضرة تـارزُ(٨)

كـــأني دخيـــلٌ بيـــنهمْ أو مُطَفّـــل غريـــبٌ , وإنـــي للقريـــبُ المحـــاوزُ

فـــإن لـــم يكـــن فيـــه مـــا شـــاهدته فيـــا ســـوء مـــا تخفـــى هنـــاك الغرائـــزُ

ومـــا جـــاز فـــيهم حـــب فضـــل وحكمـــة ولكـــن حـــب الـــنقص فـــي القـــوم جـــائزُ

صـــديقهم مـــن أبعـــد الـــدم جنسُـــهُ كـــأن عشـــير القـــوم خصـــم مُنـــاجزُ

وأيضًا قوله :

فمـــن كـــان يبـــدى للنجيـــة بغضـــه لإخفـــاءِ نقـــص إننـــي متجـــاوز

فقـــد نقبـــوا عـــن ســـالف لـــي وحاضـــر فمـــا ظهـــرت للقـــوم فـــي مغـــامزُ

فالملاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر قد أتى بمفارقات لغوية (الطباق) , فمن هذه المفارقات : (الحشد – الفرد) , (الثراء – الفقر), (الغريب – القريب) , (الفضل – النقص) , (السالف – الحاضر) , (الصديق – الخصم) , (يبدي – الإخفاء) , فهذا دليل على تقليد القدماء في استخدام المحسنات البديعية (الطباق) , يبرز المعنى ويقويه في عرض القضية التي هو بصددها وعدم تقدير مجتمعه له , والمدقق في الكلمات السابقة

---

[٧]) جماليات المفارقة النصية , قراءة بدائية في ديوان (مجروح قوي) لمحمد صبيح , أسامة عبد العزيز جاب الله , ص: ٢

٨) التارز : اليابس الذي لا روح فيه ,(لسان العرب , مادة " ت . ر . ز " ٥/ ٤١٤) .

يلاحظ أنها تتناسب مع جو القصيدة , حيث كانت مفردات القصيدة تتكلم عن صفات المجتمع وما تحويه من خصال دالة على طبيعة المجتمع فلذلك جاءت بمفارقات لغوية تبرز جوًا من الألم والفقد يظهر من خلال التراكيب والمفارقات , وهذا إحدى سمات المدرسة الكلاسيكية .

ومن ضمن المفارقات مفارقة العنوان : حيث جاء عنوان القصيدة دالًا على جو القصيدة النفسي وما تحويه القصيدة من معان ومفردات مرتبطة مع العنوان معبرة عنه , فكان العنوان : (لست عاجزًا) ,و قد كرر هذا اللفظ أكثر من مرة في القصيدة , فهو يدل على العجز والبعد والتنفير من أثر بعد المجتمع عن الشاعر ,وأثر فقده لمكانته في مجتمعه.

مفارقة الإنكار :

تعد مفارقة لإنكار : عملية تفيض بالسخرية ,ولكن يستخدم الاستفهام لإظهار السخرية من مجتمعه الذي ينكر عليه حاله , فقد يستخدم الشاعر لغة الخبر لكي يظهر مفارقة السخرية ,وقد يعتمد على لغة الإنشاء في إبراز مفارقة السخرية , فيقول :

وهـــل شـــاهد للطيـــر إلا جناحـــه ولليـث إلا الشـابكات البـوارز ؟

وهـــل شـــاهد للشـــمس إلا شـــعاعها وللفـــذ إلا فَنـــهُ المتميـــزُ؟

فـــإنّ يحـــوج البرهـــان فـــيكم لشـــاهد فكـم مـن شـهودهمُ لشـك حـوافزُ

فقد جاء بالاستفهام ب(هل) وقد كررت أكثر من مرة للتعبير عن إنكار الشاعر لأفراد مجتمعه الذين ينكرون عليه شاعريته فجاء بالاستفهام ؛ لإثبات ذلك مع إظهار النتائج المترتبة على وجود صاحب النتيجة سواء كانت الشمس أو الأسد أو الطير , وقد يأتي البيت الذي يليهما لإعلان مفارقة السخرية في الأسلوب الخبري في (كم) الخبرية , حيث يسخر من مجتمعه فيتهكم عليهم , (فكم من شهودهم لشك حوافز) , ثم نجد أيضًا استخدام أداة الاستفهام (أين) , للدلالة عما يعانيه الشاعر من عاطفة الفقد لاعتباره الذي لم يتحصل عليه , فيقول :

وقـد سـلح خلاتكـم جامعـاتٌ , وإنّنـي حسـيرٌ , وإذا شـعري , أيـن المُبـارزُ؟

فالشاعر ينكر على بني جنسه انكارهم له وحقدهم عليه فيقول (أين المبارز) في تحدي منه لمجتمعه في أفضليته هو عن غيره من باقي أفراد مجتمعه, وإن دل إنَّما يدل على عمق حزنه على نفسه ؛ لذلك استخدم (أين) للاستفهام الانكاري عن وضعه في قومه .

المطلب الثاني : المدرسة الرومانسية

مفارقة الطباق:

مفارقة طباق هي التناقض بين مفهومين في النص. لنلقِ نظرة على النص ونستخرج الكلمات التي تحمل مفارقة طباق ظاهرة وأخرى تفهم من المعنى والسياق, كالتالي:

نـــدَاؤُكَ يـــا فُـــؤادُ كَفَـــى نـــداءَ أمـــا تنفعـــكُ تســـقيني الشَّـــقَاءَ

أنـــا ظمـــآنُ لـــم يَلْمَـــعُ ســـرابٌ علـــى الصّـــحراءِ إلا خِلْـــتُ مـــاءَ

مـــن ســـقى يومًـــا بمـــاءٍ ظامئًـــا فأنـــا مـــن قَـــدَحِ العمـــر ســـقيتُهْ

فـــؤادي قُـــلْ لهـــا لمَّـــا افترقنـــا علـــى شـــجنٍ , ومـــا نرجـــو اللقـــاءَ

نلاحظ بغض الكلمات الدالة صراحة ,مثل :(ظمآنُ – ماءَ) , (سقى – ظامئًا), (يَلْمَعُ سراب - خِلْتُ ماءَ) , (افترقنا- للقاءَ).

وتكون المفارقة بالطباق من خلال فهم السياق:

مفارقة طباق هي التناقض بين مفهومين في النص. لنلقِ نظرة على النص ونستخرج الكلمات التي تحمل مفارقة طباق:

١. "لهفي لحب مات غير مدنس" - هنا يظهر التناقض بين الحب النقي والتلوث أو الدناءة.

٢. "وشباب عمر مر غير ذميم" - يشير إلى التباين بين الشباب والبلوغ.

٣. "خان الأحبة والرفاق ولم أخن" - هنا يوجد تناقض بين الخيانة والوفاء.

٤. "أيخيفني العشب الضعيف وأنا الذى أسلمت للشوك المُمِض أديمي" - هنا يعبر عن تفاوت بين الضعف والقوة أو الدفاع والاستسلام, حيث التناقض بين الخوف من العشب الضعيف والقوة التي تمثلها المواجهة للشوك الممض.

٥. "أحني لعرش الله ما انحني بالذل يومًا في رحاب عظيم" - التباين بين الانحناء بالذل والانحناء لله بخشوع وتقدير, حيث التناقض بين الانحناء لعرش الله بتقدير وتواضع، وبين الانحناء بالذل لدى البشر.

هذه الكلمات تحمل مفارقة طباق في النص، وهي.

٦. "خان الأحبة والرفاق ولم أخن" - يظهر التناقض بين خيانة الأحبة والرفاق وبين عدم الخيانة.

هذه الكلمات تعكس تناقضات الفكر والمشاعر في النص، مما يعزز العمق والغنى الفكري , ما يعطي النص عمقًا وتعقيدًا فنيًا ومعنويًا له.

مفارقة العنوان:

في القصيدة، يظهر مفارقة العنوان في النص من خلال استخدام العنوان "نداؤك يا فؤاد كفى نداء" والذي يعبر عن الشوق والحنين والاشتياق إلى الحبيب، بينما يظهر في مضمون القصيدة الصعوبات والتحديات التي يواجهها الشاعر في حياته، والتي قد تجعله يتنازل عن الأمل في الحب والسعادة، وهذا يعتبر تناقضًا بين العنوان والمضمون الفعلي للقصيدة.

بالرغم من أن العنوان يتحدث عن "نداء الفؤاد" ويبدو أنه يعبر عن الشوق والحب، إلا أن مضمون القصيدة يكشف عن مواجهة الشاعر لتحديات الحياة والصراعات الداخلية. يتناول الشاعر في القصيدة الصراع بين الأمل واليأس، وبين الوفاء والخيانة، وبين القوة والضعف، مما يظهر التباين بين ما يعبر عنه العنوان وما يعبر عنه مضمون القصيدة. هذا التناقض يضفي عمقًا على المضمون ويجعل القارئ يفكر بشكل أعمق في معاني الحب والصراعات الإنسانية.

مفارقة الترادف :

أنـــا ظمـــآنُ لـــم يَلْمَـــعُ ســـرابٌ علـــى الصّـــحراءِ إلا خِلْـــتُ مـــاءَ

وأنـــتَ فـــراشُ ليلـــي كـــل نـــور وتبعـــثُ كـــلَّ بـــرق قـــد أضـــاءَ

إذا أنـــا فـــي هـــواك أضـــعت روحـــي فلســـتُ أُضـــيعُ فيـــكِ دمـــي هبـــاءَ

غرامُـــكِ كـــان محـــرابَ المصـــلّي كـــأنَّي قـــد بلغـــتُ بـــكِ الســـماءَ

فلـــم أركـــعْ بسَـــاحتهِ ريـــاءَ ولا كالعبـــــدِ ذلاً وانحنـــــاءَ

ولكنّـــي حبْبتُـــكِ حـــبَّ حـــرٍّ يَمـــوتُ مَتـــى أرادَ وكيـــفَ شـــاءَ

نجد بعض المترادفات الدالة على الترادف الصريح في النص وفي الصريح كالتالي:

(سرابٌ – سرابٌ) , (نور _ أضاءَ) , (أضعت روحي, فلستُ أُضيعُ) , (أركعْ – انحناءَ) , (حرٍّ- أرادَ, شاءَ).

ويمكن عرض مفارقة الترادف من خلال المعنى كالتالي:

مفارقة الترادف تحدث عندما يُستخدم مصطلح متكرر في النص بطريقة تعارض معانيه الأصلية أو تشير إلى اختلاف في السياق أو الظروف. في القصيدة، يُمكن رؤية مفارقة الترادف في استخدام بعض الكلمات بطريقة تختلف عن المعنى المعتاد لها، مما يُضفي عمقًا على المضمون. لنلقِ نظرة على النص لاستخراج أمثلة على مفارقة الترادف:

١. في البيت: "أنا ظمآنُ لم يلمعُ سرابٌ"

- تُستخدم كلمة "ظمآن" للإشارة إلى الشوق والحاجة، ولكنها تُستخدم هنا لوصف الظمأ الجسدي بدلًا من الظمأ الروحي، مما يُحدث تناقضًا مفارقًا.

٢. في البيت: "وتبعثُ كلَّ برق قد أضاءَ"

- تُستخدم كلمة "تبعث" لوصف البرق بدلًا من الألهام أو الإلهام، مما يخلق تناقضًا بين الصورة المادية للبرق وبين الفكرة الروحية المرتبطة بالإلهام.

٣. في البيت: "إذا أنا في هواك أضعت روحي"

- تُستخدم كلمة "أضعت" للدلالة على فقدان الروح، بينما تُستخدم عادةً للإشارة إلى إضاعة أو ضياع شيء مادي، مما يُظهر تناقضًا بين الحالة الروحية والمادية.

٤. في البيت: "أحني لعرش الله ما انحني بالذل يومًا في رحاب عظيم"

- تُستخدم كلمة "انحني" للدلالة على التواضع والخضوع لله، ولكنها تستخدم هنا للإشارة إلى التضحية بالكبرياء والرفض للذل، مما يُعكس تناقضًا بين الخضوع لله وبين عدم الخضوع للذل.

هذه الأمثلة توضح كيفية استخدام بعض الكلمات بطريقة تختلف عن الاستخدام المألوف لها، مما يخلق تناقضًا بين المعاني المألوفة والمعاني المستخدمة في القصيدة , مما يُظهر تأثيرًا مفارقًا ويضيف عمقًا على المضمون.

مفارقة الإنكار:

مفارقة الانكار تحدث عندما يتناقض المعنى الحرفي للكلمات مع المعنى المقصود أو المقبول عند القارئ. في القصيدة، يُمكننا رؤية مفارقة الانكار في استخدام بعض العبارات التي قد تبدو كأنها تنفي أو تنكر شيئًا، لكنها في الحقيقة تُعزز هذا الشيء بطريقة غير مباشرة. لنلقِ نظرة على النص لاستخراج أمثلة على مفارقة الانكار:

وأنـــتَ فـــراشُ ليلـــي كـــل نـــور وتبعـــثُ كـــلَّ بـــرق قـــد أضـــاءَ

في البيت: "وتبعثُ كلَّ برق قد أضاءَ"

يُمكن فهم العبارة بمعنى أن البرق يُشعل النيران، ولكنها تُظهر بالواقع أن البرق يُظهر الطريق في الظلام، مما يُظهر تناقضًا بين الصورة النمطية للبرق وبين ما يمثله في السياق الشعري.

حببتـــكِ مـــا شـــدوتُ الشـــعر نـــورا ولكنَّـــي اعتصـــرتُ لـــكِ الـــدماءَ

في البيت: "حببتكِ ما شدوتُ شعرًا ولكنَّي اعتصرتُ لكِ الدماءَ"

يُمكن فهم العبارة بمعنى أن الشاعر لم يعبّر عن حبه بكلماته، لكنه في الحقيقة يُظهر أنه قدم التضحية الكبيرة وسفك الدماء من أجل حبيبته، مما يُظهر تناقضًا بين القول والفعل.

إذا أنـــا فـــي هـــواك أضـــعت روحـــي فلســـتُ أُضـــيعُ فيـــكِ دمـــي هبـــاءَ

في البيت: "إذا أنا في هواك أضعت روحي"

تُستخدم كلمة "أضعت" للإشارة إلى فقدان الروح، لكنها في الحقيقة تُظهر تعمق الارتباط بين الشاعر والمحبوب وبين فقدان الروح.

يُمكن فهم العبارة بمعنى أن الشاعر لم يعبّر عن حبه بكلماته، لكنه في الحقيقة يُظهر أنه قدم التضحية الكبيرة وسفك الدماء من أجل حبيبته، مما يُظهر تناقضًا بين القول والفعل.

وإذا ونـــى قلبـــي يـــدق مكانـــه شـــممي وتخفـــق كبريـــاء همـــومي

في البيت: "وإذا ونى قلبي يدق مكانه شممي وتخفق كبرياء همومي"

تُظهر العبارة تعلّق الشاعر بالكبرياء ولكنه في الحقيقة يظهر الضعف والخوف عندما يُجبر على الانحناء للظروف، مما يُظهر تناقضًا بين القوة المزعومة والضعف الفعلي.

هذه الأمثلة تُظهر كيفية استخدام الكلمات بطريقة تعكس معاني مختلفة عن المعنى المباشر، مما يخلق تأثيرًا مفارقًا ويُضيف عمقًا على المضمون.

المطلب الثالث : المدرسة الواقعية

أولاً: مفارقة العنوان :

قد تؤدي لغة العنوان وتركيبته الصوتية والسياقية دورًا فاعلًا في الإيحاء بدلالة النص, فقد جاء العنوان حاملا للمعاني التي تدل على حالة الشاعر وحرمانه من عضو مهم في حياته مما جعله في حالة يأس وبؤس , وحرمان , فجاء العنوان للقصيدة باسم (البؤس) ومن خلال الاستعراض لهذه المفردات اللغوية والتراكيب المشكلة لبنية النص يتضح أنها مرتبطة بالعنوان , فقد جاء العنوان للدلالة على العاطفة التي تتمثل في الشكوي والأنين الذي تعرض له الشاعر من الحرمان الجسدي بفقده عنصرًا مهما من جسده وهو فقده لبصره , الذي له عظيم الأثر في حياته منه خلال واقعه الاجتماعي والحياتي , فجاء بالفظ مرتبطة بالعنوان كالتالي :

(كأني تائه في سفر ، من غير دليل , وعلى خدي دمع حائر , كم ليال في دجاها لم أنم , الليل طويل , أنا الشاكي , الباكي الذليل , صرت وحدي , دموعي زينتي , ما لدمع البؤس في العيد من مثيل , فتبكيني أسى , محتْ ظَلامًا وظلامًا , على الخليقة آلامَا وأشجانا , عاشَ الكفيفُ سليب الراحتين, , رهين المحبسيْن , قعيد الهمِّ , في عزله و اغتراب , لا يرى بهما في الأهل أهلاً ولا الجيران جيرانًا) . فهذه التراكيب جاءت في مفارقات عجيبة مع العنوان إذ كلها مرتبطة بالعنوان لفظًا وشكلًا , ولكن لها دلالة معينة وهي الحرمان والأسى والفقد وهو يكون المعنى البعيد المقصود من خلال المفارقة وهو الشكوى والحرمان الجسدي من أثر الفقد .

فإن المطالع للقصيدة يجدها بدأت بعبارات القلق كأني تائه في سفر ، من غير دليل , وعلى خدي دمع حائر، كأن الشاعر في سفرٍ في الصحراء وقد تاه وليس معه دليلًا يرشده ويستدل به , فهذا ما يتبادر إلى الزهن من أول وهلة , فهي مفارقة حيث الملاحظة كأنك أمام صورة في الصحراء نهارا أو ليلا ؛ لأن الأنسان في توهان , ولكن القصد أنه من أثر حرمانه من نعمة البصر أنه تائه لا يرى أحدًا حوله لا يدري على أي وجه يتجه, ثم يتحول إلى تأكيد فكرته بقوله (كم ليال في دجاها لم أنم , الليل طويل) , فهو في ليل طويل لا يظهر له نهار مما أصابه بالإحباط واليأس , فأخذ يشكو حاله من أثر علته :(أنا الشاكي , الباكي الذليل , صرت وحدي , دموعي زينتي , ما لدمع البؤس في العيد من مثيل , فتبكيني أسى , محتْ ظَلامًا وظلامًا , على الخليقة آلامَا وأشجانا , عاشَ الكفيفُ سليب

الراحتين), فهي دلالات معبرة عن وحدته وحاله مع الليل الطويل, ومدى حزنه وحرمانه .

يقصد بالمفارقة اللفظية: "إبراز التناقض بين طرفين متضادين أو متقابلين" (٩) ، أو هي: نمطٌ لصيقٌ بالمباشرة يجمع بين متنافرين في الدلالة"(١٠) , ويمكن تحديد المفارقة اللفظية على "المفارقة التي يكون فيها المعنى الظاهري واضحًا ولا يتسم بالغموض، وذا قوة دلالية مؤثرة...، كما أن التضاد في المفارقة اللفظية يكون فيه المعنيان الظاهر والباطن في مواجهةٍ مباشرةٍ، على خلاف أنماط المفارقة الأخرى التي تتطلب خفاءً وعمقًا في البحث عن طرفي المفارقة داخل بنية القصيدة، أو ربطها بسياق خارجي عن القصيدة، وقد تحتاج إلى استنباط وتحليل القصيدة نفسها" (١١), فيمكن تحليل ذلك كالأتي :

مفارقة لفظية بين (عزّ- ذليلْ), حيث نجد المفارقة بين اللفظتين وهما متنافرتان , حيث عرض النص الأطفال في عز وفرح وهو في الذل والانكسار النفسي , فيقول :

يلعبُ الأطفالُ في عزِّ الغنَى و أنا الشاكي , أنا الباكي الذليلْ

,(تضحك الدنيا – فتبكيني) , (تضحك, تبكي) , وأيضا بين المفردتين والتركيبتين تنافر وابتعاد بين الضحك الدال على الفرح والسرور والبكاء الدال عن الحزن والاحباط واليأس , فيقول الشاعر :

تضحك الدنيا فتُبْكيني أسى وكأني في بني الدنيا نزيلْ

(نور – ظلاما) , وبين اللفظتين تضاد يوضح المعنى دلاليًا ويقويه ويبرزه في صورة دالة على المفارقة في الصورة الدلالية لكلاهما , فيقصد بالنور الوضوح والرؤيا أما الظلام هو فقد البصر والعمى , فيقول :

---

(٩) كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر , تحقيق : علي محمد بن سهل العسكري البجاوي , ومحمد أبو الفضل إبراهيم , دار إحياء الكتب العربية , ط: ١ , مصر , القاهرة , ١٩٥٢م, ص : ٧٢٩.

(١٠) فضاءات الشعرية، دراسة في ديوان أمل دنقل سامح الرواشدة ، المركز القومي للنشر , إربد – الأردن , ١٩٩٩م , ص: ١.

(١١) جماليات المفارقة النصية، قراءة بدائية في ديوان (مجروح قوي) لمحمد صبيح , أسامة عبد العزيز جاب الله، ، ١٤٣٩ هـ. /١/ ١٥ نيسان/ إبريل، ٢٠٠٨ م، ص : ٢ .

يــا أخــوة النــور ، مرْحَــى إن ثورتنــا نورٌ أضاءت به في العدل دنيانا
محــتْ ظَلامًــا ووظُلمًــا طــال ليلهمــا علــى الخليقــة آلامَــا وأشــجانا

– (يلعب , قعيد) , وبين المفردتين تباعد حيث (يلعب) فعل ولكنها تدل على الحركة وهو المعنى البعيد , أما (قعيد) فهي تدل على السكون والعجز وعدم الحركة وهي (اسم) ولكن بينهما تضاد ومفارقة تبرز معنى الفقد والاحباط وتقويه بالمفارقة بينهما , فيقول :

يلعــبُ الأطفــالُ فــي عــزِّ الغنَــى و أنا الشاكي , أنا الباكي الذليلْ
عــاشَ الكفيــفُ ســليب الــراحتين رهــي ن المحبسيْن قعيد الهـمِّ أسْـوانَا

– (العيد, الهم) , فالمفارقة بين اللفظين واضحة في الدلالة حيث اللفظة الأولى تدل على الفرح والسعادة والأمل, أما اللفظة الثانية فتدل على الحزن واليأس والسكون, فيقول :

صــرتُ وحْــدي و الليــلْ زينتــي مــا لـدمع البُـؤس فـي العيـد مثيـلْ
عــاشَ الكفيــفُ ســليب الــراحتين رهــي ن المحبســيْن قعيــد الهــمِّ أسْــوانَا

(محت ظلاما , نور أضاءت) , فبين التركيبتين مفارقة شكلية أي في بنية التركيبتين من تضاد ولكن متحدتان معنى حيث (محت ظلاما) , أي ازالت الظلام وانهته, أما (نور أضاءت), فمعناها بددت الظلام وأضاءت النور, والنور بطبيعته يجلى الظلام ويمحوه , وبذلك تكون المفارقة في رسم الكلمات من الناحية الشكلية لبنية الكلمة أما الاتفاق يكون في الدلالة اللفظية (المعنى), فيقول :

محــتْ ظَلامًــا وظلامًــا طــال ليليهمــا علــى الخليقــة آلامَــا وأشــجانا
يــا أخــوة النــور ، مرْحَــى إن ثورتنــا نــورٌ أضــاءت بــه فــي العـدل دنيانـا

(الصفا ,الهم) ,كذلك ما بين اللفظتين من مفارقة , حيث اللفظة الأولى تدل على الراحة والهدوء والسعادة أما الأخري تدل على الحزن والكدر, فتتحقق بينهما مفارقة في الدلالة اللفظية والبنية الشكلية للكلمة , فيقول :

و إذ الأعيــــادُ ألقــــتْ نورهــــا بالصــفا مــا بــين أهــل وقبيــلْ
عــاشَ الكفيــفُ ســليب الــراحتين رهيــ ن المحبســيْن قعيــد الهــمِّ أسْــوانَا

– (اغتراب , أهل) , كذلك بين الغربة والبعد والأهل أي الأنس والاستقرار , مفارقة تبرز المعنى الذي يقصده الشاعر من وراءه , أي أنه في بعد عن الأهل وما حوله من

عناصر الحياة المتمثلة في الأهل وقربهم له , وهي مفارقة دالة على الحرمان ولوعته وشدة فقده , فيقول :

فـي عزلـه و اغتـراب لا يـرى بهمـا فـي الأهـل أهـلاً ولا الجيـران جيرانًـا

– (تخطو , قعيد) , كذلك الأمر من مفارقة بين الخطى والحركة والسكون وعدم الحركة والعجز , وذلك من دلالة في المعنى , فيقول :

عـاشَ الكفيـفُ سـليب الـراحتين رهـي ن المحبسـيْن قعيـد الهـمِّ أسْـوانَا

إلا قلـــيلا تخطـــو كـــل عائقـــة حتـى رأوا فـي المجـال الصـعب

– (سليب الراحتين, أخوة النور), فبين التركيبتين مفارقة في الشكل عكس المضمون حيث بنية التركيبتين في الظاهر دلالة على الفقد, ولكن في الدلالة والمضمون فالتركيبتان متفقتان حيث (سليب الرحتين) أي الفاقد لبصره أي عيناه , (وأخوة النور) معناه الأعمى فاقد البصر, ويذلك تكون المفارقة شكلية والاتحاد والترادف دلاليًا, فيقول

يـا أخـوة النـور ، مرْحَـى إن ثورتنـا نورٌ أضاءت بـه في العدل دنيانا

عـاشَ الكفيـفُ سـليب الـراحتين رهـي ن المحبسـيْن قعيـد الهـمِّ أسْـوانَا

- (تكسب , سليب) , فقد تكمن المفارقة بين اللفظتين في الأولى دالة على السلب والفقد والخسارة , أما الثانية دالة على الكسب والمكسب , فبينهما تضاد ومفارقة بينهما في الدلالة والشكل أي البنية التركيبية للكلمة , فيقول :

عـاشَ الكفيـفُ سـليب الـراحتين رهـي ن المحبســيْن قعيــد الهــمِّ أسْــوانَا

لا مهمـة تكسـب الـرزق الحـلال ، ولا بـاب مـن العلـم يزكـو فيـه عرفانـا

ثالثا : مفارقة القلق :

فمن المفارقات ظاهرة القلق والحيرة التي انتابته من أثر الخرمان , فقد عرض في الأبيات مفارقات تدل على القلق والحيرة , كالتالي:

(تائه في سفر - من غير دليل – أنا الشاكي – أنا الباكي – في دجاها لم أنم – الليل طويل – صرت وحدي – حيرة الطل - ما لدمع البؤس في العيد – تضحك الدنيا فتبكيني – طال ليلهما – رهين المحبسين – قعيد الهم – لا مهمة تكسب – في عزلة واغتراب لا يرى بهما)

مفارقة التحول :

وهذه الخاصية يقصد بها تحول النص من الجانب السلبي إلى الإيجابي والعكس فنجد في قصيدة البؤس , قد ظهرت العلامات السلبية ثم بدأ التحول من الجانب السلبي إلى الإيجابي , فكان كالتالي :

و كـــــأني تائـــــهٌ فـــــي ســـــفرٍ يسـلك البيـداءَ مـن غيـر دليـلْ
وعلـــــى خـــــدَّيَّ دمـــــعٌ حـــــائرٌ حَيْـرَةَ الطّـلَ علـي الـورد البليـلْ
كـــم ليـــال فـــي دُجاهـــا لـــم أنَـــمْ وغطـائي البـردُ والليـلَ طويـلْ !
يلعـــبُ الأطفـــالُ فـــي عـــزّ الغنَـــى و أنـا الشـاكي , أنـا البـاكي الذليلْ
و إذ الأعيـــــادُ ألقـــــتْ نورهـــــا بالصـفا مـا بـين أهـل وقبيـلْ
صـــرتُ وحْـــدي و الليـــلْ زينتـــي مـا لـدمع البُؤس فـي العيـد مثيـلْ
تضـــحك الـــدنيا فتُبْكينـــي أســـى وكـأنى فـي بنـي الـدنيا نزيـلْ

ثم يتحول الشاعر من الطاقة السلبية الداعية لليأس والإحباط إلى طاقة إيجابية تحمل الأمل وعدم اليأس , فيه بعث جديد يتحدى العوائق , ويظهر ذلك من خلال دعوة أصدقائه أو زملائه الذين يشبهونه في فقده لبصره , فيقول :

يـا أخـوة النـور ، مرْحَـى إن ثورتنـا نـورٌ أضـاءت بـه فـي العـدل دنيانـا
محـتْ ظَلامًـا وظلامًـا طـال ليليهمـا علـى الخليقـة آلامَـا وأشـجانا

ثم يتحول النص مرة أحرى من الجانب الإيجابي إلى الجانب السلبي وطاقة اليأس , فيقول :

عــاشَ الكفيــفُ ســليب الــراحتين رهيــــ ن المحبســيْن قعيــد الهــمِّ أسْــوانَا

لا مهمــة تكســب الــرزق الحــلال ، ولا بــاب مــن العلــم يزكــو فيــه عرفانــا

فــي عزلــه و اغتــراب لا يــرى بهمــا في الأهل أهلاً ولا الجيران جيرانًا

إلا قلــــيلا تخطـــو كـــل عائقـــة حتى رأوا في المجال الصعب إمكانا

وهذه المقاطع تظهر مدي معاناة الشاعر وفقده وحرمانه, فقد عرض القضية في مفارقة بين اليأس ثم الأمل, فقد كان حريصًا على مقاومة الاحباطات ثم تحوله من الطاقة الإيجابية الداعية للأمل إلى الطاقة السلبية المتوازنة الواقعية , وذلك من خلال المفارقات .

فمن خلال استقراء بعض من نماذج المفارقات يتضح أن الشاعر قد نوع في استخدام المفارقات اللغوية لعرض قضيته بطريقة تمكن المتلقي الكشف عن كوامن النص الداخلية وما ترمز إليه الكلمات من خلال ترابطها وعلاقاتها بجيرانها من المفردات لتخرج لنا دلالات متنوعة متباينة .

ترادف :

(النور- أضاءت) , (طال – طويل) , (البؤس – أشجانا),(البؤس – الهم), (الهم - أشجانا), (تكسب - يزكو) , (يرى – نور) , -(كأني تائهٌ - من غير دليلْ), (أنا الشاكي- أنا الباكي

الدنيا , الخليقة , بني الدنيا - أهل , قبيل, الجيران – نور , أضاءت – ظلاما , لا يرى – أسى , أشجانا – أخوة النور , الكفيف – الهم , أسى ,أشجانا – (الخليقة , الأهل ,الجيران ,الأطفال – رهين , قعيد – ألقت , أضاءت – عزلة ,اغتراب – الكفيف ,لا يرى, سليب الراحتين – نزيل , اغتراب – (لم أنَمْ- والليلَ طويلْ),

المطلب الرابع :المدرسة الرمزية

المفارقة اللفظية هي أداة شعرية تعتمد على تناقض معاني الكلمات في البيت الواحد، حيث يتم استخدام كلمات تتعارض في معانيها لإيجاد تأثير جديد أو لفت الانتباه إلى

الجمال اللغوي والتعبيري. في الشعر، يُستخدم ذلك لتعزيز المعاني أو لخلق تأثيرات بصرية أو عاطفية.

هذه القصيدة تتحدث عن الحنين والشوق للوالد والألم الذي ينتاب الشاعر في غيابه، وتعبيره عن الأحاسيس الداخلية التي تختزنها روحه. يتمثل مغنى المفارقة اللفظية في هذه القصيدة في استخدام كلمة "سكرى" لوصف حالة الروح. فعادةً ما يرتبط السكر بالفرح والسعادة، ولكن في هذه القصيدة تُستخدم للإشارة إلى حالة الحزن والألم التي تغمر الروح، مما يُظهر التناقض بين المعنى المألوف للكلمة والمعنى الذي يُقصده الشاعر بها في هذا السياق, فيقول الشاعر : وروحي يا أبِي سَكْرَى بخمرِ الحزنِ والألمِ

هذا التناقض في استخدام كلمة "سكرى" يُسلط الضوء على المعاني المتعددة التي يمكن أن تحملها الكلمات في سياقات مختلفة، وكيف يمكن استخدامها للتعبير عن مشاعر مختلفة ومتناقضة.

أبي , ما بالَنا نمضي , وروحُ الحقّ مقهوره؟!
وأحلامي وآمال بسجنِ الليل مأسورهْ
يُقال "الناس أحرار" و دنيا الناس مهجورهْ
أريدُ الفجرَ باسما وأعشقُ- يا أبي _ نورهُ
قطيعٌ نحن – يا أبني - ,ولا فرقٌ سِوى الصورهْ
سياط القهرِ تدفعُنا لوادي العسفِ والنقمِ[١٢]

فبين (أحلامي – آمال) , (الليل- الفجر) ,(أحرار- مأسوره) , (وأحلامي وآمال - سياط القهرِ تدفعُنا لوادي العسفِ والنقمِ).

في هذه الأبيات، يُستخدم التناقض والمفارقة اللفظية للتعبير عن الواقع القاسي والصراع الداخلي للشاعر. يُظهر الشاعر تناقضا بين مفهوم الحرية والحقيقة المريرة التي يعيشها، حيث يُقال إن الناس أحرار، ولكن الواقع المظلم يُظهر بالفعل مدى مهانة الحقيقة وضعف الحرية. كما يتناقض بين أحلام الشاعر وواقعه المحبط، حيث يعبر عن رغبته في الفجر والنور والتحرر من واقعه القاسي والمهين.

أبي , ما زلتُ أذكرهُ وعودَ شبابه اليانعْ

[١٢]) ديوان حافظ إبراهيم , ضبطه صححه ، إبراهيم الأبياري , أحمد أمين ، وأحمد الزين – دار الجبل ، بيروت , لبنان ، ١٩٨٨م (١/ ٢٠٥, ٢٠٦).

وأذكرُ أننا كنَّا نفيء لظله الرائعْ
وكان حديثه الرقراق نبعَ السِّحْر للسامعْ
و"محمود" له قلبٌ كبيرٌ – يا أبي – واسعْ
هو المتبوع- يا أبتي - , وليسَ الحرُّ بالتابعْ
هو الحبُّ , هو النبلَ , وغيثَ الخير والهِمَمِ

فبين (هو المتبوع- وليسَ الحرُّ بالتابعْ) ,(قلبٌ كبيرٌ , حديثه الرقراق , هو الحبُّ , هو النبلَ) في هذه الأبيات ، يُظهر الشاعر تناقضًا بين الواقع والذكريات الجميلة والمحببة له. يتحدث عن والده بكل حب وتقدير، ويستخدم مفردات تعبيرية تُبرز الصفات الإيجابية لوالده، مثل "ظله الرائع"، و"نبع السحر"، و"قلب كبير". ومع ذلك، يشير الشاعر إلى أن الواقع الحالي ليس كما كانت الذكريات، حيث يفتقد والده ويشعر بحزنه وفقده.

وأيضًا قول الشاعر:

سمعت الناس قد قالوا : أخي قد صار مسجونا
فمَنْ سجنوه – يا أبتي - , فذاقَ الذل والهونا ؟
وما في قريتي السمحاء أعداء ليؤذونَا
أما عرفوهُ إنسانا وجوَّادًا ومأمُونا ؟
فكيف يصيرُ- يا أبتي – بعسفِ القيد مرهونا؟!
وأَمِّى لم تزل تدعوهُ في صحوٍ وفي حُلّمِ

تتضمن هذه القصيدة مغناة المفارقة اللفظية في عدة جوانب: فقد يظهر ذلك في الأتي: (فمَنْ سجنوه – فذاقَ الذل والهونا),(فكيف يصيرُ- بعسفِ القيد مرهونا) , (صحوٍ – حُلّمِ) ,(تدعوه – سمعت) , فهذه العبارات تدل على الحرمان من الحرية فجاءت الألفاظ والعبارات معبرة من خلال المفارقات اللفظية , كالتالي:

١. في السطر "سمعت الناس قد قالوا :أخي قد صار مسجونا"، يتم استخدام كلمة "سجنوه" بمعنى حبسه، ولكن القصيدة تستخدم هذه الكلمة بمعنى آخر، أي "سجنوه" بمعنى "حبسه" ولكن تستخدم بمعنى "ضربه"، لتشير إلى الهوان والذل الذي يتعرض له.

٢. في السطر "فكيف يصيرُ- يا أبتي – بعسفِ القيد مرهونا؟!"، تستخدم كلمة "مرهونا" للإشارة إلى العبودية أو الخضوع، بينما يتوقع المستمعون أن يتم استخدام الكلمة بمعنى الرهن أو الضمان.

٣. في السطر "وأَمِّي لم تزل تدعوهُ في صحو وفي حُلِّمِ"، يتم استخدام كلمة "حلم" للإشارة إلى اليقظة بدلاً من الحلم أو الأمل، مما يُضيف تأثيرًا معاكسًا ومفاجئًا للسياق المعنوي للكلمة.

الخاتمة

وقد توصلت الدراسة لأهم النتائج الأتية :

١- يمكن القول أن الشعراء العرب المعاصرين الذين يتبعون المذهب الكلاسيكي من أشد الشعراء تأثر بالقديم بجميع حالاته وأغراضه وأساليبه وذلك يتضح من خلال امتلاك ناصية اللغة من مفارقات تعطي المعنى طابعًا دلاليًا مؤثرًا على المشاهد والسامع .

٢- فمن الملاحظ من خلال الأبيات الموجودة في القصيدة أن الشاعر استخدم مفردات دالة على المعاناة النفسية والحرمان الذي تعرض له الشاعر , فقد ضاق ذرعًا بظروف حالته النفسية التي تعرض لها حتى انتابه الشعور بالقلق والحيرة مما أصابه باليأس وفقدان الأمل في الحياة التي يعش فيها من عدم تقدير مجتمعه له , فقد جُعل في عزلة واغتراب بين بني جنسه , فهو كفيف لا يرى الأهل ولا الجيران من حوله حتى عندما تحضر مناسبة اجتماعية كالأعياد مثلا وفيها يلهو ويلعب الأطفال ولكنه هو محروم من متعة المشاهدة , فيحاول أن يتمسك بشيء من الأمل من خلال دعوته لأصحابه اللذين هم على شاكلته من الوقوف ضد اليأس والإحباط , محاولً تعدي هذه الأزمة البصرية وما يتبعها من توابع حرمانية معينة , فجاءت الألفاظ معبرة عن جو الشاعر النفسي وحالته النفسية .

٣- المفارقة اللفظية في هذه القصيدة تُستخدم لتعزيز التناقضات بين الأحلام والواقع، الحرية والقيد، النور والظلام، مما يخلق تأثيرات عاطفية عميقة ويُبرز الصراعات الداخلية للشاعر. تُضفي هذه المفارقات عمقًا رمزيًا على القصيدة، مما يُثري التجربة الشعرية ويجعلها أكثر تأثيرًا وجمالًا.

المراجع

١. جماليات المفارقة النصية , قراءة بدائية في ديوان (مجروح قوي) لمحمد صبيح , أسامة عبد العزيز جاب الله لبنان , مكتبة مدبولى ,القاهرة ,(ط:١) ,٢٠٠٢م

٢. ديوان حافظ إبراهيم , ضبطه صححه ، إبراهيم الأبياري , أحمد أمين ، وأحمد الزين – دار الجبل ، بيروت , لبنان ، ١٩٨٨م

٣. ديوان حبيب عوض الفيومي جمعه ، محمود عماد , ط نهضة مصر (سلسلة الألف كتاب) – ١٩٦٢م.

٥. فضاءات الشعرية، دراسة في ديوان أمل دنقل سامح الرواشدة ، المركز القومي للنشر , إربد – الأردن , ١٩٩٩م

٦. قصيدة البائس , ديوان وحي الإيمان , الصاوي شعلان , ط معهد ومكتب أيمان بالتوفيقية , ١٩٧٩م,ص ١٩١

٧. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر , تحقيق : علي محمد بن سهل العسكري البجاوي , ومحمد أبو الفضل إبراهيم , دار إحياء الكتب العربية , ط: ١ , مصر , القاهرة , ١٩٥٢م.

٨. المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية , وليم راي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للنشر والترجمة، ط ١: , بغداد، ١٩٨٧.

٩. المفارقة , نبيلة إبراهيم , مجلة فصول , مج :٧, ع: ٣- ٤, ١٩٨٧.

١٠. موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، دار المأمون للنشر والترجمة، ط ٢، العراق، بغداد، ١٩٨٧